أهمية تيسير النحو وتقريبه من الأبناء

د. معصومة عبد الصاحب

المقدمــة:

إن للّغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة، فهي وعاء الأفكار، وأداة التعبير والتواصل، وهي هوية الأمة، ومستودع تراثها وتاريخها وللغّات أهمية خاصة لدى منظمة الأمم المتحدة، فهي عنصر رئيس في تواصل الشعوب، وتؤدي إلى التفاهم، ومن ثمّ التسامح وقبول الآخر.. لذلك فإن منظمة الأمم المتحدة تعمل على الحفاظ على تنوع اللغات.. وتحتفل في ٢١ فبراير من كل عام بـ"اليوم الدولي للّغة الأم" حيث يتم الاحتفال فيه بكل لغة من اللّغات الرسمية الست للأمم المتحدة، ونظرًا لأهمية اللّغة العربية، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (اليونسكو) في ١٨ ديسمبر ١٩٧٣، قرارًا بإدخال اللّغة العربية ضمن لغات العمل الرسمية في الأمم المتحدة، وبناءً على ذلك اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام، يوم ١٨ ديسمبر "اليوم الدولي للّغة العربية"..

وللعربية قدسيتها لدى العرب والمسلمين، لكونها لغة القرآن الكريم، ولغة العبادة والشعائر الدينية ولها مكانتها، فهى اللغة التي أثرت في كثير من لغات العالم، ولغة الحضارة في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية... فكانت لغة العلوم والتشريع والسياسة ولغة الأدب والفلسفة والفن...

أما اليوم فإن العربية في وضع صعب لا يرضى به أهلها المحبون لها، الغيورون عليها، فهي تواجه تحديات كثيرة... مما يلقى مسؤولية ضخمة على أبنائها، تتطلب منهم – كل في موقعه – أن يساهموا في خدمتها ونصرة قضاياها، والعمل على حل مشكلاتها.... ولا شك أن مشكلة النحو العربي، واستمرار الشكوى من صعوبته،هي من أهم المشكلات اللغوية، وأولاها بالدراسة والبحث ؛ وذلك من أجل تيسير النحو وتقريبه من الأبناء، الذين انصرفوا عن لغتهم.. وحيث إن مادة النحو ركنًا رئيسًا في تعليم اللغات ؛ فإن تيسير قواعده، ضرورة يفرضها الواقع الذي نعيشه اليوم، والذي يشير إلى ضعف الناشئة في لغتهم الأم، وكثرة الأخطاء في تعبيراتهم وكتاباتهم، ونشاطاتهم اللغوية، وكذلك الشكوى من صعوبة النحو وتعقيد قواعده، عند دارسي النحوالعربي.

أسباب نشأة النحو العربي

كان الأساس في وضع النحو هو ظهور اللحن بين أبناء العرب والمسلمين، بسبب اختلاطهم بالأجانب، حيث كانت توجد طائفة كبيرة من غير العرب بالجزيرة العربية، كتجار أو رقيق مما أدى إلى ظهور اللحن في فترة مبكرة، وفي عصر الرسول الكريم، حيث روي أن رجلًا لحن بحضرته فقال: (أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل). ومعظم الروايات التي تناولت نشأة النحو كانت تدور حول خطأ في الإعراب، يترتب عليه التباس في المقصود أو إيهام لمعنى غير لائق بالمقام أو بقصد المتكلم ؛ فاللحن في الإعراب يؤدي إلى تحريف المعاني، وغموض المقاصد... ولقد أفزع اللحن ذوي الشأن من العرب، فاستنكروه وبادروا إلى علاجه، لأنه يهدم أهم خصائص العربية وأهم وسائلها للتفريق بين المعاني. (١)

أهمية النحو

أشار كثير من الباحثين القدماء والمعاصرين إلى أهمية النحو، فقال ابن جني في كتابه"الخصائص"إن الإعراب سمي إعرابًا لسببين هما: الإبانة والإيضاح، ثم التغيير من حال إلى حال،وأشار ابن خلدون في مقدمته ،إلى أن أركان علوم اللسان أربعة وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، وإن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة ، ففي جهله الإخلال بالتفاهم جملة... (٢)

وفي العصر الحديث، بيّن الأستاذ عباس حسن منزلة علم النحو وأهميته فقال :

إن منزلة النحو من العلوم اللسانية، منزلة الدستور من القوانين الحديثة، وهو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه، في جليل مسائلها وفروع تشريعها، فلن تجد علمًا من تلك العلوم يستغنى عن النحو.. وهذه العلوم النقلية، على عظم شأنها ، لاسبيل إلى استخلاص حقائقها بغير هذا العلم، فالنحويعين على فهم التركيب، وقراءة القرآن الكريم قراءة سليمة، وفهم دقائق التفسير، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصول العقائد، وما يتبع ذلك من مسائل فقهية... (٣)

وقد أشاد كثير من المستشرقين بالنحو، وكان يدرس في كثير من المراكز العلمية واللغوية والدينية، وما زال يدرس في الجامعات الحديثة في الوطن العربي، وفي كثير من جامعات العالم.

كذلك أشاد بعض علماء اللغة المحدثين بأهمية النحو العربي، ومنهم عالم اللغة تشومسكي...

ففي مقابلة حوارية، أجراها الدكتور مازن الوعر مع البروفسور تشومسكي، ذكر بأنه درس النحو العربي الحديث، كما درس النحو في القرون الوسطى، فدرس الآجرومية، وهي مختصر في النحو لابن آجروم... وذكر بأن بعضًا من دراسته المبكرة، لنحو القرون الوسطى قاده إلى بعض الأفكار، حول البنية التنظيمية اللغوية، التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية (٤)

النحو بين أنصار القديم والتجديد

بنى النحاة واللغويون صرحًا ضخمًا من قواعد العربية، نحوًا وصرفًا وصوتًا، وبذلوا جهودًا جبارة في التقعيد والتصنيف في مختصرات ومطولات وشروح، حتى تضخم المحصول واضطربت القواعد لدرجة التعقيد، والسبب في ذلك - كما يقول الدكتور عبد الكريم مجاهد - هو المنهج الذي اتبعه النحاة، والذي يوحي بأن لكل نحوى منهجه الخاص، كما أن الفريق في المدرسة قد لا يكون متفقًا... فنجد المبرد مثلًا يخالف سيبويه أستاذ مدرسته البصرية، بينما نجد اتفاقًا في كثير من المسائل بين الأخفش البصري وبين المدرسة الكوفية (٥)

يضاف إلى ذلك ولع النحاة بالتأويلات والتخريجات والتقديرات،وتعمقهم في البحث عن العلة والمعلول، وما ينتج عن خلافاتهم النحوية، التي قد تكثر في المسألة الواحدة، فتصل إلى حد تضيق به نفس الدارس... إلى جانب ذلك، استطرادهم في يجوز ويجوز، في التقدير والإعراب،

وهذا مثال على ذلك،من موضوع"الخبر"كما جاء في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٦)

ذهب بعضهم إلى أنه لايتعدد الخبر إلا إذا كان الخبران في معنى واحد ' فإن لم يكونا كذلك تعين العطف، فإن جاء من لسان العرب شيء بغير عطف، قدر له مبتدأ آخر...

يقول الشاعر:

من يك ذا بت فهذا بتي

مقيظ مصيف مشتي

البت: كساء غليظ مربع.. فالشاعر يصف في هذا البيت، كساءه الذي يرتديه، فيقول: إذا كان لأحد من الناس كساء، فإن لي كساءً أكتفي به في وقت اشتداد حرارة القيظ، ويكفيني زمان الصيف، وزمان الشتاء.. يعني أنه يكفيه الدهركله.

وكان إعراب البيت كما جاء في الحاشية كالتالي: (من) يجوز أن تكون اسمًا موصولًا، وهو مبتدأ مبني على السكون في محل رفع... ويجوزأن تكون اسم شرط مبتدأ أيضًا، وهو مبني على السكون في محل رفع أيضًا، (يك) فعل مضارع ناقص مجزوم بسكون النون المحذوفة للتخفيف، فإن قدرت (من)شرطية فهذا فعل الشرط، واسم (يك) على الحالين ضمير مستتر فيه جوازًا، تقديره هو يعود على (من) ولا إشكال في جزمه حينئذ،وإن قدرتها موصولة فإنما جزم - كما أدخل الفاء في (فهذا بتي) لشبه الموصول بالشرط، (ذا) خبر يك منصوب بالألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الستة، وذا مضاف و(بت) مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة، والجملة من (يك) واسمها وخبرها، لامحل لها صلة الموصول، إذا قدرت (من) موصولة، (فهذا) الفاء واقعة في جواب الشرط، إذا قدرت (من) اسم شرط، وإن قدرتها موصولة، فالفاء زائدة في خبر المبتدأ، لشبهه بالشرط في عمومه،وها: حرف تنبيه، وذا: اسم إشارة مبتدأ، (بتي) بت: خبر المبتدأ، وبت مضاف وياء المتكلم مضاف إليه، (مقيظ، مصيف، مشتي) أخبار متعددة لمبتدأ واحد، وهو اسم الإشارة، والجملة من المبتدأ وخبره في محل رفع المبتدأ الذي هو (من) إن قدرت (من) موصولة، وفي محل جزم جواب الشرط إن قدرتها شرطية، وجملة الشرط وجوابه جميعًا في محل رفع خبر المبتدأ على تقدير (من) شرطية، والأمثلة على ذلك لاتعد ولاتحصى...

إن قضية النحو كانت مثار خلاف، بين أنصار القديم والتجديد، فانصار القديم يرون، أنه لا تعلم للغّة العربية، إلا عن طريق ما أثر عن النحاة الأقدمين، من قواعد وأحكام، وإن الخروج عنه يعد هدمًا وضياعًا، أما أنصار التجديد فيرون أن النحو فيه قيود، وأن تعقيد قواعده تجعل المتكلمين بالفصحى كثيري الشك في صحة كلامهم ويراجعون أنفسهم، وذلك يمنع الفصحى أن تكون طبيعية، وهذا الاتجاه قديم في حياتنا، حيث إن خلف بن حيان الأحمر البصري كان يرى أن النحويين قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصروالطرق العربية، وهذا ما دفعه إلى أن يؤلف رسالته"مقدمة في النحو"دعا فيها إلى الاقتصار من أبواب النحو ومسائله، على ما يصلح اللسان في كتاب إن كتب، وفي شعر ان أنشد، وفي خطبة أورسالة إن ألفت.... وقد دعت كثرة الافتراضات والخلافات بين المدارس النحوية، إلى تأليف الكتب في تسهيل النحو وتذليل صعابه...(٧)

فبعد اتساع قاعدة الدرس النحوي، وتتابع المصنفات النحوية المطولة، أدرك النحاة أن التطويل، وسوء التبويب، وصعوبة لغة التأليف، والخلافات بين النحاة، تعقد النحو، وتعسر فهمه على الدارسين... فأخذوا في تجاوز ذلك، وصنفوا كثيرًا من الكتب المختصرة، مثل:

كتاب"المقتضب" للمبرد (في حلته الأولى) و"المقرب" لابن عصفور، و"الجمل"للزجاجي، و"الأصول في النحو" لابن السراج، و"الإنصاف في مسائل الخلاف"للأنباري، و"تسهيل النحو"لابن مالك، و"المفصل"لابن يعيش، وغير ذلك... كما أن ابن مضاء القرطبي،من نحاة الأندلس، نادى بتسهيل النحو،وفي كتابه"الرد على النحاة"دعا إلى أن يحذف من النحو ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم.. كما دعا إلى إلغاء العلل والأقيسة من النحو، لتخليصه من كل ما يعوق مسيره وانطلاقه، وكذلك إلغاء المسائل التي لاتفسر صيغًا نطق بها العرب، والتمارين غير العملية...

يقول الدكتور شوقي ضيف في تحقيقه لكتاب،ابن مضاء السابق ذكره: عندما يطيل الإنسان النظر في كتب النحو، يحس الحاجة إلى تصنيف النحو تصينفا جديدًا، وهذا ما أحسه ابن مضاء،وقد أحسه من قبله الجاحظ ،ولكن في شكل آخر،حيث قال:"قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها، ولانفهم أكثرها ؟ وما لك تقدم بعض العويص، وتؤخر بعض المفهوم ؟ فالجاحظ هنا يشكو من طريقة النحاة في كتبهم، وأنهم - وعلى رأسهم الأخفش - يبنونها بناءً شاقًا فيه عسروتصعيب، ومازال هذا العسر والتصعيب، يزداد لكثرة ما وضع النحاة في كتبهم من أقيسة وعلل، وما تصوروا من محذوفات ومضمرات... ومما دعا إليه ابن مضاء إلغاء كل تأويل وتقدير في الصيغ والعبارات، وطبق ذلك على بعض أبواب وفصول في النحو، وأنه لينبغي أن نعمم ذلك أيضًا في فصول النحو الأخرى وأبوابه... ويؤكد على أهمية الإستجابة إلى هذا النداء للتخلص من صعوبات النحو (٨)

ويوضح الأستاذ عباس حسن أهمية التسهيل والتيسير في التراث النحوي، نظرًا لاختلاف الزمان وبساطة الحياة آنذاك عن عالم اليوم،فقد كان طالب العلم قديمًا متفرغًا للعلوم العربية والشرعية، أما اليوم فالحال غير الحال، والمطالب كثيرة، فطالب العلم يمر بهذه العلوم مرورًا سريعًا عابرًا. ويضيف: والحق أن النحو منذ نشأته، داخلته بعض الشوائب، نمت وتغلغت، وانتهت به إلى مانرى،فلم يبق بد من أن تمتد له الأيدي البارة القوية، لتخليصه مماشابه، وأن تبادر إليه النفوس الوفية للغتها وتراثها، فتبذل جهودها لإنهاضه، وقد سارعت طوائف من تلك النفوس إلى النجدة.. فمنهم من ذلل للناشئة لغته، أو اختصر قاعدته، أو أوضح طريقة تدريسه، أو أراحهم من زائف العلل، وعلى الرغم من ذلك، لم نر من تصدى للشوائب كلها أو أكثرها.(٩)

تيسيرالنحو حديثًا

استأثر النحو بأكثر الجهود العلمية للدراسين والباحثين في موضوعات اللغة العربية ومسائلها، فصدرت عنه، وعن إحيائه وتجديده وتبسيطه، وتيسير تدريسه كتب مستقله، وفصول في كتب، ومقالات، ونظمت له مؤتمرات وندوات،وقدمت فيها دراسات وبحوث، ودارت حولها مناقشات،وانتهت بنتائج وتوصيات... يقول الدكتور ناصر الدين: ومع ذلك ظل النحو حيث كان، ولم تنجح الجهود في إقامة ألسنه المتحدثين وسلامتها من شيوع اللحن، وحدوث الأخطاء في الخطب والمحاضرات والمرافعات القانونية، والبث الإذاعي.. وظلت المعضلة تدور على نفسها رغم زيادة الدراسات والمؤتمرات

والندوات عن"تيسير النحو"وتعليمه.. ويتساءل الدكتورعن الداء الحقيقي وأين يكمن؟وهل هناك من علاج ؟ وهل أخطأته الجهود السابقة ؟ (١٠)

وتتوالى الدعوات إلى تيسير النحو.. يقول الدكتور فخر الدين قباوة:

نحن الآن مطالبون بمواصلة مسيرة الاختصار والتيسير؛ ليكون بين أيدي طلبتنا في الجامعات غير المتخصصة بالعلوم العربية، كتب نحويه ميسرة، تعرض المادة النحوية بلغة العصر وأساليبه، مع الحفاظ على الأصول الجوهرية للنحو... وإن تقصيرنا في هذه المهمة يعنى تأخير التوظيف الحقيقي للنحو، في ميادين الحياة... ويشير الدكتور إلى أمر مهم في تيسير النحو، وهو أن مفهوم التيسير خاضع للنسبية، ويختلف في المادة والعرض والاستدلال، تبعًا للبيئة الثقافية والعلمية، فما كان مختصرًا في القرن الثالث الهجري، قد يبدو مطولاً بعد بضعة قرون، وما كان جملاً أو مقدمة في عهد الجرجاني مثلاً، قد يرى اليوم مفصلاً أو عسيرًا بعيد المنال. فهذه المختصرات غير قادرة على تحقيق ما نريد.... ويؤكد بأنه لابد من جهد معاصر مخلص، يصل الماضى بالحاضر ويحقق للغة العربية حاجتها في تيسير النحو...(١١)

لاشك أن الجهود التي بذلها النحاة في تيسير النحو جهود كبيرة، حققت الكثير، ولكنها لم تجن كامل ثمارها بعد، رغم كثرة المؤلفات النحوية في هذا الشأن...

فإذا تتبعنا إصدارات كتب النحو الحديثة، نجد كثيرًا منها يتكرر، وتتعدد المسميات، وتختلف بين كتاب وآخر، مما ينتج عنه تعدد المصطلحات واختلافها، وتعدد المصطلح في أي علم، يؤدي إلى الاضطراب...

من جانب آخر: أن بعض النحاة المحدثين، يسلكون أحيانًا طريق قدامى النحاة في الإطالة، من غير حاجة إلى ذلك... فبعض المؤلفات النحوية مثلاً، تستمرفي تعداد أوجه الإعراب، التي تجوز للكلمة الواحدة، وهذا مثال على ذلك، من موضوع"أسلوب المدح والذم"نحو:

نعم الجليس الكتابُ و بئس الرفيق المنافقُ

فقد أجاز النحاة في "المخصوص" بالمدح أو الذم (الكتابُ، المنافق) أن يعرب:

١- مبتدأ مؤخرًا، والجملة الفعلية قبله خبرًا عنه.

٢- خبرًا لمبتدأ محذوف وجوبًا تقديره (هو).

٣- مبتدأ خبره محذوف تقديره(الممدوح في أسلوب المدح) و(المذموم في أسلوب الذم).-

٤- بدلاً من الفاعل.

فلو نظرنا إلى المثال السابق، فإن المخصوص بالمدح أوالذم (الكتابُ، المنافقُ) في جميع الأوجه التي يجوز إعرابه بها، يكون مرفوعًا بالضمة...

فلماذا لايحسم الأمر، ويحدد الإعراب الأدق، للمخصوص (بالمدح أو الذم) ؟ مادامت الحالة الإعرابية واحدة هي الرفع بالضمة، والأوجه الإعرابية المذكورة أعلاه صحيحة !!

فمثلاً يرى الأستاذ عباس حسن أن إعراب المخصوص (بدلاً) من الفاعل، هو رأي أولى بالاعتبار (وفقًا لرأيه) (١٢)

بينما الإعراب الأول (مبتدأ مؤخر) هو الأدق (في تقديري)، وهو أحد الإعرابين المشهورين، وفقًا لآراء النحاة.

و يضاف إلى ظاهرة تعدد أوجه الإعراب..."تقدير متعلق للظرف و الجار والمجرور"

يرى النحاة في إعراب مثل: جملة"زيد عندك"، وجملة"زيد في الدار"، أن الظرف، والجاروالمجرور،ليسا هما الخبر لزيد،وإنما هما متعلقان بمحذوف خبر،تقديره "مستقر أو استقر" وهو الخبر، وكذلك الشأن حين يقعان نعتًا في مثل: "هذه هرة فوق السطح – هذه هرة في الحديقة" فشبه الجملة (فوق السطح) وكذلك (في الحديقة) نعت لهرة، والنحاة يعلقونهما بمحذوف تقديره: مستقرة أو تستقر وهو النعت، والشأن نفسه حين يقعان حالا...

وهذا – كما قال الكتورشوقي ضيف: تكلف بل بعد في التكلف... (١٣)

ومازال بعض النحاة يقدرون متعلق للظرف، والجار والمجرور.

وأما الاستطراد والتوسع في قواعد النحو، فنأخذ مثالا على التشعيب من موضوع"العطف"حيث يقسمه كثير من النحاة إلى عطف بيان وعطف نسق... وفقًا لما جاء في كتاب"شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك":

العطف: ذو بيان أو نسق والغرض الآن بيان ماسبق

فذو البيان: تابع شبه الصفة حقيقة القصد به منكشفة

وقد جاء في شرح البيتين:

"العطف ضربان: أحدهما عطف النسق وسيأتي، والثاني عطف البيان وهو

المقصود بهذا الباب.

وعطف البيان: هو التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله نحو:

أقسم بالله أبو حفص عمر.

ف(عمر) عطف بيان، لأنه موضح ل (أبي حفص) فخرج بقوله: الجامد، الصفة، لأنها مشتقة أو مؤولة به ،وخرج بما بعد ذلك التوكيد، وعطف النسق، لأنهما لايوضحان متبوعهما، والبدل الجامد لأنه مستقل . (١٤)

وبعد الإتيان ببيت شعر وشرحه، ثم بيت آخر وشرحه، ثم بيتين جاء في شرحهما:

كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلاً... واستثنى المصنف مسألتين يتعين فيهما كون التابع عطف بيان، ويستمر في شرح المسألتين...

بعدها يذكر عطف النسق من خلال بيت شعر موضحًا أن"عطف النسق"هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف (العاطفة) وبعدها يعرض موضوع العطف.

إن"عطف البيان" (في تقديري) "بدل"، فإذا نظرنا إلى المثال السابق الذي استدل به المصنف (أقسم بالله أبو حفص عمر) فإن (عمر) هو (أبوحفص)، لذلك فإعراب كلمة (عمر)"بدلا"هو أفضل من تصنيفها "عطف بيان"

فموضوع"العطف"بسيط يميزه وجود حروف العطف، فما الداعي إلى تشعيب الموضوع بتقسيمه عطف بيان وعطف نسق... وإقحام ما يدخل في "البدل" فيه ؟؟؟

وإذا كان المصنف نفسه قد ذكر: أن كل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدلاً ،عدا مسألتين... فالأولى والأيسر، أن تستثنى هاتان المسألتان، بتبسيطهما وإلحاقهما بماتؤولان إليه من موضوعات النحو.

هذه أمثلة من موضوعات النحو التي لاتحصى... تؤدي إلى التشعب والإطالة، ومن ثمّ التشتت ولاتضيف شيئًا لتحقيق أهداف النحو...

فكيف يمكن للأبناء أن يتسع صبرهم ووقتهم ؟ ليكرروا احتمالات الإعراب الممكنة، لكل عنصر في مثل هذه الموضوعات المتعددة... في عصر التقنية وتفجر العلم والمعرفة ؟

لذلك مازالت الدعوات تتوالى من أساتذة النحو واللغة، والدارسين والباحثين، تطالب بالعمل على تسهيل النحو واختصاره، ويؤكدون على ضرورة التعاون، وتضافر جهود المجامع اللغوية، والجامعات في الوطن العربي.

ويذكر الأستاذ الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي: أن كثيرًا من المشتغلين بالدراسات اللغوية والنحوية، من رجال المجمع اللغوي وأساتذة الجامعة، تناولوا قضية"تيسير النحو"وكانت لهم آراء قيمّة... ولم يؤخذ بأكثرها بسبب انفصال جهة التشريع اللغوي وجهات التنفيذ... فلابد أن تقوم الصلة بين المشرعين: أعضاء المجمع، والمجلس الأعلى للثقافة من جهة والمنفذين بوزارة التعليم ويؤكد بأن الظروف مهيأة الآن لقيام هذا التواصل... (١٥)

تفعيل جهود تسيير النحو

خلال مسيرة تيسير النحو الطويلة، بذلت جهودًا جبارة وقدمت اقتراحات مهمة، وكذلك مشروعات لمنهج جديد للنحو العربي لتيسيره... وقد اعتمدت بعض التعديلات والتوصيات في المجمع اللغوي، وجمدت غالبيتها...

فلابد لنا من إكمال المسيرة وتفعيل جهود تيسير النحو... بدراسة مبادرات النحاة في هذا المجال، واختيار ما يتفق وهدف التيسير... ثم نواصل الطريق حتى تحقيق الهدف...

ومن ثمّ، أرفع اقتراحًا إلى صناع القرار في هذا الشأن، نادى بمثله كثيرون من قبل وهو:

أن يتم تشكيل لجنة مختصة من أساتذة النحو وعلماء اللغة، في الجامعات العربية من المتميزين وذوي الخبرات، في الاتجاهين القديم والحديث، بحيث تكلف هذه اللجنة بمهمة تيسيرالنحو، بإشراف اتحاد المجامع اللغوية....

فتضع اللجنة خطة العمل، وتقسم إلى مجموعات، تكلف كل مجموعة بقسم من موضوعات النحو، بحيث يشترك ما لايقل عن ثلاثة من النحاة في دراسة الموضوع ذاته... على أن تبدأ خطة التنفيذ بالاستفادة – كما سبق ذكره – من الجهود الجبارة التي بذلت لتيسير النحو... وذلك باتخاذ الاجراءات التالية:

١- الأخذ بما تم اعتماده في اتحاد المجامع اللغوية في هذا الشأن، ومعرفة ماتم تجميده من آراء ومقترحات، للنظر فيها...

٢- جمع مختلف أنواع "مشاريع تيسيرالنحو وتجديده"، وكذلك مقترحات النحاة، وتوصيات اللجان بهذا الخصوص، ودراستها

للاسترشاد بها، ومنها مثلاً: استبعاد بعض الأبواب النحوية غير الوظيفية مثل. موضوع الاشتغال، والتنازع، وإعادة النظر في تقسيم العطف إلى عطف بيان، وعطف نسق... حيث إن مثل ذلك، يضيف المزيد من التشعب والتشتيت والتعقيد لمادة النحو.

٣- الاسترشاد بما صدر في هذا المجال من مبادرات تيسير النحو وتجديده.

٤- تنقية القواعد من الخلافات النحوية، ويؤخذ من الآراء التي تصادف إجماعًا، أو موافقة غالبية النحاة.

٥- حسم الخيارات في إعراب الكلمة الواحدة، وتحديد إعراب واحد... مادامت كل الخيارات صحيحة، ولها نفس العلامة الإعرابية.

٦- النظر في تصنيف موضوعات النحو، في أبواب، أو وحدات كلية... بحيث تضم الوحدة كل الموضوعات، التي تتصل بها وتدخل في تصنيفها.

٧- دراسة موضوعات النحو في ضوء ماسبق ذكره،ووفقًا لما تراه اللجنة ملائمًا.

٨- إقرار ما يتم الاتفاق عليه، وتعديل ما تراه اللجنة في بعض الموضوعات.

٩- مراجعة وتقويم ما قامت به اللجنة، لاعتماد مادة"النحو العربي"بحلته الميسرة...

١٠- تواصل "لجنة تيسير النحو وتطويره" عملها خلال التطبيق، وذلك من أجل المتابعة والتقويم.

الاسترشاد بمبادرات تيسير النحو

إن الاسترشاد بمبادرات النحاة، في التسهيل والتيسير، لا يعني اعتماد المبادرة بكاملها، والموافقة على كل ما جاء فيها، فقد يكون للجنة أحيانًا رأي يختلف عما ورد في بعضها... ومن ثمّ فاللجنة تأخذ بالرأي الصائب الأيسر، بما يتفق وتحقيق الأهداف.

ومن أهم المبادرات التي يمكن الاسترشاد بها في تيسير النحو، مما قدمه النحاة المحدثون:

أولاً: جهود الدكتور شوقي ضيف في كتابه"تجديد النحو"حيث وضع أسس تجديد النحو متمثلة في:

١- إعادة تنسيق أبواب النحو.... وحذف بعض الأبواب، ونقل أمثلتها إلى أبواب أخرى.

٢- إلغاء الإعرابين: التقديري والمحلي، وكذلك باب التنازع وباب الاشتغال.

٣- إلغاء تقدير متعلق للظرف والجار والمجرور.

٤- قصر الإعراب على ما يفيد في صحة النطق.

٥- وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض أبواب النحو.

٦- حذف زوائد كثيرة تعقد أبواب النحو.

٧- إضافة بعض القواعد الضرورية لخدمة النطق السليم للعربية .

ولا يمنع ذلك من إعادة النظر، في بعض ما ورد من آرائه، وإختيار الرأي الصائب، الأكثر يسرًا كما تراه اللجنة... ولنأخذ مثالا واحدًا فقط على ذلك:

يقول الدكتور شوقي ضيف في ص ٢٨ من كتابه"تجديد النحو"(مرجع سابق):

"وأما (غير) فقال النحاة إنها أداة استثناء في مثل:"جاء القوم غيرَ زيدٍ"بالنصب، و"ما جاءني أحد غير زيدٍ"بالنصب والرفع، وقالوا: إن إعرابها، نفس إعراب الاسم التالي إلاّ في الأمثلة المناظرة ،وهي:"جاء القوم إلا زيدًا"وهو إعراب فيه غير قليل من التعقيد... وأسهل من ذلك أن نأخذ برأي أبي علي الفارسي، في أن (غير) التي تعرب مستثنى منصوبًا في مثل (جاء القوم غيرَ زيد) إنما هي حال. أما (غير) المرفوعة في الصيغة المنفية السابقة: (ماجاء أحد غير زيد) فقال أبو علي الفارسي إنها تعرب نعتًا... وينبغي أن نأخذ بهذا الإعراب السهل للفظ "غير"ونخرجها من باب الاستثناء وهو ما أخذت به في الكتاب... (وفقًا لقوله).

إن الدكتورشوقي محقٌ في قوله، بأن رأي النحاة في إعراب (غير) فيه تعقيد، ولكن رأي أبي علي الفارسي، الذي رشحه لسهولته، قد يعاد النظر في بعضه...

ثانيًا: جهود الأستاذ عباس حسن

من جانب آخر يمكن الاستفادة من آراء الأستاذ عباس حسن وجهوده في تيسير النحو، حيث إنه في دراسته لمسائل النحو كان يتقصى الآراء استقصاءً واعيًا، فيختار الأيسر مراعاة لحاجة العصر، والواقع العملي، فقد كان يرى أن التيسير النحوي لا يتحقق إلا بعد تهذيب النحو ومعالجة ما به من مشكلات، وذلك بحذف الفضول، وادماج بعضه ببعضه الآخر، واختصاره، ثم عرضه عرضًا شائقًا جذابًا... إن جهوده واضحة ومميزة في كتابه"النحو الوافي"، إلا أنه وكما سبق القول: يؤخذ بالرأي الأكثر يسرًا.

مناهج النحو في الوطن العربي

بين الدكتور قباوة أن الكليات والمعاهد التي تعد طلابها لتدريس النحو، أو لمتابعة الدراسات العليا في هذا العلم، ينبغي لها أن تكلفهم بجميع الموضوعات النحوية في النحو والصرف، وما يتفرع عن ذلك من تاريخ هذا العلم ومراحل تطوره، مع عرض المذاهب والاتجاهات، وما يتصل بهذا العلم، أما الكليات والمعاهد الأخرى فهي مكلفة بتدريس طلابها من موضوعات النحو، ما يساعدهم على مقتضيات الحياة العملية، من قراءة صحيحة وفهم دقيق لما يسمع ويقرأ...

ويذكر الدكتور قباوة أن مناهج النحو في مراحل المستويات المدرسية، تكاد تكون موحدة في الأقطار العربية، أما مناهج النحو في الجامعات العربية، فهي متباينة لا تربطها خطة أو وجهة، فكليات الآداب وعلوم العربية، تدرس النحو من مصادر ومراجع مختلفة.... (مرجع سابق)

وهذا يؤكد أهمية تصنيف محاضرات النحو في الجامعات العربية في مستويين: الأول للطلبة المتخصصين في اللغة العربية، فالمقررات موسعة، والثاني لطلبة التخصصات الأخرى، حيث إن مقررهم في النحو لابد أن يعتمد كتب النحو الحديثة المركزة الميسرة...

أما طلبة الدراسات العليا، في تخصص النحو، فهم المعنيون بدراسة شاملة، لعلم النحو وكل ما يتصل به.

خاتمة:

لاشك أن وضع النحو، وموقف الأبناء منه، يتطلب منا مواصلة تيسير النحو وتلخيصه وتركيز قواعده، لتسهيلها على طلاب العلم... ومن ثمّ العمل على توحيد مناهج النحو في الجامعات العربية...

ومن هنا فإن تشكيل"لجنة تيسير النحو"، وفقًا للاقتراح المرفوع إلى صناع القرار في هذا الشأن... ونجاح اللجنة في أداء مهمتها سيحقق مانهدف إليه من تيسير النحو وتقريبه للأبناء، والتغلب على صدودهم عنه، وتصحيح الفكرة التي يتوارثونها - جيلاً بعد جيل - عن صعوبة النحو، فتعكس أثارها على اللغة بوجه عام.

إن تيسير النحو وتطويره ،سيكون انجازًا حضاريًا وقوميًا لخدمة لغة الضاد، يعزز من مكانة اللغة العربية عند أبنائها الذين انصرف الكثير منهم عنها إلى اللغات الأجنبية... ولا شك أن امتلاك لغة أو أكثر، من اللغات الأجنبية المهمة، تتطلبه الحياة المعاصرة، لمواكبة ثورة العلوم والتقنية... ولأهمية اللغات في تبادل العلوم والمعرفة، ونقل التجارب، وتقريب الثقافات، وتلاحم الحضارات... ولكن ذلك لا يعني أبدًا، التخلي عن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ولغة الأمة وهويتها، ومستودع تاريخها وتراثها.

المصادر والمراجع

(١) عبد الكريم الرعيض، ظاهرة الإعراب في العربية، دار اقرأ، مالطة، ١٩٩٠م، ص (٩٣)
(٢) الدكتور محمود السيد، ندوة النحو والصرف، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، ١٩٩٤، ص (٥)
(٣) الأستاذ عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦، ص(٦١)
(٤) (نقلاً عن) الدكتور عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٣ م، ص (٢١٤)
(٥) الدكتور عبد الكريم مجاهد، من ثغرات الدرس النحوي عند العرب، ندوة النحو والصرف، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دمشق ١٩٩٤م، ص (٣١)
(٦) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الطلائع ،القاهرة، ٢٠٠٩ م، ج ١، ص٢٠٦
(٧) الدكتور محمود السيد في قضايا اللغة التربوية، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت) ص٤١
(٨) كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٨٨، ص٤٦
(٩) الأستاذ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة (د. ت) ج١ ص ٧
(١٠) الدكتور ناصر الدين، تحقيقات لغوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠٠٣، ص ١٧٣
(١١) الدكتور فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م ص (١٠٥)
(١٢) الأستاذ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة (د. ت) ج٣ ص ٢٧٩
(١٣) الدكتور شوقي ضيف، تجديد النحو، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٢٤
(١٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ١٦٠
(١٥) الأستاذ الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي (ضمن كتاب) الدكتور أحمد درويش، إنقاذ اللغة من أيدي النحاة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ،١٩٩١ م، ص ٦٨